

صراع الأمواج

هكذا هي الدنيا ، تبسط حللها وأثوابها و تدعو مريديها ، فتتلاأ العيون وتتسع ، وربما تبيضُّ ، فلا تعود تُبصر إلا ما كان لامعاً ، ولو كان زائفاً ، فالعقل في كمون وسكون ، والجسم في حراك و غَلَابَة ، وتتبنى النفس كل حَسَن ، ولا فرق هنا أكان حَسَناً في جوهره كمظهره ، أو نصير القشر وحسب ، فالمطمع ما يرى لا ما يُهضم. والمعضلة ليست هنا ، بل حينما تتضارب الرغبات بين طامع وآخر، وتتصادم الأهواء مع بعضها البعض ، ويعلو شعار " تؤخذ الدنيا غلابا " حينها يُقرع جرس الصراع ، فتتعانق السباع ، وكلُّ يستحلُّ روح مُنازله ، والشباك مستمر ، ليس باليدين الخاليتين ، إنما بكل ما من شأنه أن يؤدي ، ليس برفعة المهارة وشدة الإتقان ، إنما بالقوة وشيء من الحيلة والمكر ، ولن يُحدِّد مآل المناجزة ، إلا سحق أحد الطرفين ، وتزداد المحنة تعقُّداً حين يتعدَّد المتشاكسون ، ويتنكَّر بعضهم لقيم المنافسة الشريفة ، وقواعد المنازلة العادلة .

ولنا في الحياة أمثال وصور مختلفة ، لو تأملناها قليلاً ، لوجدناها تنطبق وما نقول ، فهل ساءل المرء منّا نفسه ، كيف يتكلم ؟ وماذا يقول ؟ ومتى يصمت ؟ عن أي كلمة نغلق أسماعنا ؟ ومتى نفتحها ؟ هل تدبّر المرء منّا في أفعاله ؟ مع والديه .. مع إخوته .. مع أبنائه .. زوجه .. أصحابه .. زملائه .. مع أحبائه ؟ هل نظر المرء منّا إلى تصرُّفاته مع الآخرين ؟ وهل يقود المرء - مركبته - فيعفو و يتسامح ، أم تحتدم انفعالاته ، فيصطك مع كل مَنْ يقرب منه ؟ وقد يُفضِّل المشي ولكنّه يزاحم مرافقيه بمنكبيه وناظريه ، ولا يسلم منه أحد .

ولو استرسلنا في الأمثلة لطال بنا المقال ، وعظم المقام ، ما علينا - فقط - إلا أن نسحب ما تأمّلناها على جميع الأصعدة والمستويات من سلوكياتنا .

وخير لنا أن نراقب أفعالنا وأقوالنا ، لعلّنا نُحسن فيها ، ولعلّنا لا يتقبّلها ، ويجود علينا بتوفيقه ، فنُدْفِلح مع المُفلحين .

